هوامش

تُعَدّ غدانسك من أبرز مدن بولندا وأقدمها، فيما اسمها راسخ في الوعي الشعبي، إذ هي شاهدة على تحوّلات كبرى طبعت تاريخ البلاد. كذلك هي مقصد سياحي ساحر في أوروبا الشرقية

سياحة في سفينة تاريخية (العربي الجديد)

غدانسك البولندية

مصنع سفن ومهد لمناهضة الشيوعية

باختصار

تحتضن المدينة مصانع سفن أطلق عمّالها شرارة إضرابات أدّت في نهاية الأمر إلى سقوط الشيوعية في البلاد في عام 1989

■■■

مفاوضات «المائدة المستديرة» في عام 1989 أفضت إلى إجراء انتخابات وتشكيل حكومة غير شيوعية في بولندا وتحقيق الانتقال السلمي للسلطة والفصل بين فروعها

■■■

ألهمت تجربة التوافق بين الأطراف السياسية دولاً أخرى في كتلة حلف وارسو لإنهاء الحكم الشيوعي بطريقة سلمية

موسكو ـ **رامي القليوبي**

غدانسك تلك المدينة البولندية المطلة على بحر البلطيق تشتهر بطابعها المعماري المميّز وباحتضانها مصانع سفن أطلق عمّالها شرارة إضرابات أدّت في نهاية الأمر إلى سقوط الشيوعية في البلاد في عام 1989 وإلى التوجّه نحو التكامل مع الاتحاد الأوروبي.

ويعود تاريخ الإضرابات العمالية في غدانسك الواقعة شماليّ بولندا إلى ديسمبر/ كانون الأول من عام 1970، حين توقّف عمّال مصانع السفن عن العمل، احتجاجاً على ارتفاع الأسعار عشيّة عيد الميلاد. وراحت رقعة التحركات تتوسّع على امتداد ساحل بحر البلطيق، فعمدت السلطات الشيوعية إلى توكيل الجيش بالسيطرة على الوضع. وفي مدينة غدينيا المجاورة، أطلقت قوات الأمن النار على المتظاهرين، الأمر الذي أدى إلى مقتل مئات وجرح آلاف آخرين في الاشتباكات بالشارع.

وفي منتصف عام 1980، أضرب عمّال مصنع «لينين» (تيمّناً بزعيم ثورة البلاشفة في روسيا فلاديمير لينين) للسفن عن العمل، رفضاً لارتفاع أسعار المواد الغذائية أيضاً، لكن من دون الخروج إلى الشارع هذه المرة. وقد توسّعت الإضرابات لتشمل كل أنحاء البلاد، علماً أنّ ليش فاليسا الذي صار لاحقاً رئيس البلاد، كان في قيادة الإضرابات التي اكتسبت طابعاً سياسياً وسط تصاعد دور حركة «التضامن» العمالية المعارضة. وبعد عجزه عن التوصل إلى اتفاق مع حركة «التضامن»، أعلن رئيس الوزراء البولندي آنذاك، فويتشخ ياروزلسكي، عن تطبيق القانون العسكري الذي فرض قيوداً فورية على حريات سكان البلاد ومنح صلاحيات استثنائية للشرطة، الأمر الذي أدّى إلى إبعاد «التضامن» عن المشهد السياسي البولندي.

وفي نهاية ثمانينيات القرن الماضي، عادت الحركات العمالية مرّة أخرى إلى الواجهة في سياق تغييرات جذرية طرأت على المشهد بعد تولّي آخر زعماء الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف، زمام السلطة في موسكو وتخلّيه عن دعم الأنظمة الشيوعية الحليفة في أوروبا الشرقية. وتُوّجت موجة الإضرابات التي انطلقت في عام 1988، بمحادثات «المائدة المستديرة» وتشكيل حكومة أولى غير شيوعية في بولندا في عام 1989.

وفي هذا الإطار، يلفت الباحث في مركز الدراسات الأوروبية بمعهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية التابع لأكاديمية العلوم الروسية، ستانيسلاف كوفالدين، إلى المكانة الخاصة التي تحتلها غدانسك في مسيرة بولندا نحو إنهاء الحكم الشيوعي التي انطلق قطارها مطلع سبعينيات القرن الماضي. ويقول كوفالدين لـ«العربي الجديد»: «لا تحتل غدانسك مكانة خاصة من جهة المفاوضات بين السلطة والتضامن فحسب، بل هي احتضنت الإضرابات حتى قبل الثمانينيات، الأمر الذي أسهم في إطلاق آلية المواجهة بين العمّال والسلطة وما تلاها من تعايش وإطلاق مفاوضات المائدة المستديرة».

وعن دور إضرابات عام 1970 في المسيرة النضالية للعمّال البولنديين، يقول كوفالدين إنّ «قمع هذه الإضرابات باستخدام الجيش أدى إلى سفك دماء، وقد ترك القمع جروحاً عميقة في المجتمع، محدثاً تغييراً في علاقة العمّال مع السلطة وسط تنامي الأمزجة النقدية تجاهها بين عمّال غدانسك». وعن دور فاليسا في تحويل مجرى الإضرابات إلى المفاوضات في نهاية الثمانينيات، يشرح أنّ «مكانة فاليسا كانت تمكّنه من إقناع العمّال بوقف الإضرابات، فدخلت السلطة في المفاوضات معه. وفي ذلك الوقت، تشكلت في غدانسك مجموعة من الاتحادات ذات توجهات ليبرالية، علماً أنّ هذه المدينة هي مدينة سياسيين بولنديين ليبراليين ومعارضين حالياً، بمن فيهم رئيس الوزراء الأسبق دونالد توسك».

وكانت مفاوضات «المائدة المستديرة» في عام 1989 قد أفضت إلى إجراء انتخابات وتشكيل حكومة غير شيوعية في بولندا، وتحقيق الانتقال السلمي للسلطة والفصل بين فروعها، مع إبقاء الحزب الشيوعي على أغلبية المقاعد في مجلس الشيوخ وانتخاب ياروزلسكي رئيساً للبلاد قبل أن يخلفه فاليسا في عام 1990. وقد ألهمت هذه التجربة التي أدّت إلى توافق بين الأطراف السياسية دولاً أخرى في كتلة حلف وارسو؛ المجر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا، لإنهاء الحكم الشيوعي بطريقة سلمية في الأشهر المقبلة، باستثناء رومانيا التي شهدت موجة من أعمال عنف أدت في نهاية المطاف إلى إعدام الرئيس نيكولاي تشاوشيسكو وزوجته، في ديسمبر/ كانون الأول من عام 1989.

تجدر الإشارة إلى أنّ غدانسك، إلى جانب احتضانها مصانع السفن، تحوّلت إلى وجهة سياحية رائدة في بولندا تضم عدداً من المعالم والمتاحف، من بينها متحف الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) الذي فتح أبوابه أمام الزائرين في عام 2017.

وأخيراً

الشعوب تتحمّل المسؤولية أيضاً

رشا عمران

تتحمّل الأنظمة السياسية التي حكمت بلادنا العربية في العقود الماضية المسؤولية الأولى عما وصلت إليه حال المجتمعات العربية من تخلّف وجهل وأمية وتطرّف وعنف وتعصّب ديني ومذهبي وقومي، تتحمّل تلك الأنظمة مسؤولية كل الأمراض المجتمعية التي تجعل من أي حراكٍ تغييريٍّ عملا بالغ الصعوبة، شاقّا وكلفته عالية جدا، ليس فقط في الأرواح، وإنما في حالة الشلل التي سوف تصيب المجتمعات، نتيجة يأس الساعين إلى التغيير والراغبين فيه، ذاك أن مقاومة التغيير لا تأتي فقط من الأنظمة وأتباعها وحلفائها، وإنما تأتي أيضا من المؤسّسات المجتمعية المرتبطة بها، والتي تدرك جيدا أن أي تغيير سياسيٍّ سوف يحصل سيكون على حساب تسلّطها وهيمنتها على المجتمع، إذ إن ارتباطها الوثيق بالأنظمة يجعل من مصيرهما واحدا لدى أية محاولة للتغيير، وهذا ما يجعلها تخرج كل وسائلها الصادّة والمقاومة والمضادّة للحراك المجتمعي التغييري، وتطلقها على عنانها، لتبدو، حتى الثورات الكبيرة، والتي دفعت أثمانها بالدم والأرواح، مستحيلة الإنجاز، أو أنها تهدف إلى إشاعة حالة من الديستوبيا والفوضى العظيمة في وعي كثيرين من أفراد هذه المجتمعات، ولا يستطيعون إدراك أن التغيير، إن حصل وأنجز، سوف تكون نتائجه لصالحهم أولا، إذ إن الدأب الذي اشتغلت به المؤسسات المجتمعية مع الأنظمة الحاكمة عقودا استطاع أن يضع العقل العربي الجمعي في قماقم تحتاج عقودا مشابهة، وجهدا خارقا لفكّها وتحرير العقل المعتقل داخلها.

أدركت الأنظمة الحاكمة، منذ ثمانينيات القرن الماضي، أن لا شيء يمكنه مساعدتها على التسلّط والاستيلاء الأبدي على الحكم أكثر من جعل شعوبها غارقةً في تفاصيل غيبية، تلهيها عن التفكير بشؤون السياسة والمجتمع، فجنّدت لهذا كل طاقاتها الإعلامية والمالية، استخدمت كل التقنيات الحديثة ذلك الوقت لتكريس التفاهة المجتمعية، فلا عجب إن كنت تجد لدى مشاهدتك الفضائيات، التي تبث عبر الأقمار الصناعية، محطّة للفن الهابط والتافه (كان وقتها بداية ظهور الفيديو كليب، حيث كان الهدف جذب المشاهد إلى ما يظهر من جسد المغنية ذات الموهبة المعدومة أو المؤدّيات في الفيديو كليب). وتليها محطة دينية تروّج أفكارا غيبية، وتشتغل على بثّ الكراهية بكل أشكالها، وتُشغل متابعيها بشؤونٍ ليست من جوهر الدين، وتركت لمجموعة من المشعوذين والدجّالين، يظهرون ليل نهار على الفضائيات، أن يتدخّلوا حتى في تفاصيل الحياة الزوجية والمعيشة في داخل البيوت، باسم الحرص على الدين وقيم المجتمع. وكان هذا كله يتم تحت اسم «الصحوة الإسلامية» التي غيّرت وجه المجتمعات العربية، وكان الدين ركنا رئيسيا فيها، ولكن بوصفه عبادة وعلاقة خاصة مع الله، لا بوصف الحياة جزءا منه، ولا بوصفه المسيّر لشؤون الناس وحياتها وتفاصيل يومياتها. المدهش أن مؤسسات إعلامية ضخمة مالكة عدة فضائيات كانت تملك التفاهات وتبثها تحت اسم الفن، وفي الوقت نفسه، تبث قنوات الفتنة والتفاهات الدينية والتحريض ضد الاختلاف والتنوع، والدعوة إلى نبذ الفنون والجمال وتحوير النصوص الدينية، والبحث عن أحاديث غير مسندة، تسفّه الجمال لصالح القباحة، وتحصر مشكلات المجتمع في التحليل والتحريم، لا سيما الجنسي منه، ليصبح جسد المرأة وتفاصيله، وما يظهر أو يخفى منه، أكثر ما يشغل المجتمع، في وقتٍ كانت الأنظمة تتصرّف في البلاد بوصفها مزارعها الخاصة، تنهب منها ما تشاء وتستبد وتقمع وتقصي، وتشكّل طبقة مجتمعية جديدة (محدثي النعمة)، أثرت من الفساد وعاشت حياة خفية تفعل ما تشاء فيها، بينما تظهر إلى العلن ورعا دينيا كاذبا، سرعان ما أصبح من سمات المجتمع العربي، حيث يمكن ارتكاب كل أنواع الموبقات في الخفاء، بينما المسبحة والحجاب ودمغة الإيمان تعطي المشروعية المجتمعية لكل الخراب الذي انتشر في المجتمعات، وباركته الأنظمة التي استفادت منه إلى الحد الأقصى.

> مؤسسات إعلامية ضخمة مالكة عدة فضائيات كانت تملك التفاهات وتبثها تحت اسم الفن

فشل الربيع العربي، والخراب الذي كان ينتشر كالفطر في المجتمعات المحكومة بأنظمة مستبدّة، وما يظهر على العلن منه حاليا، مع انتشار وسائل التواصل، الحقد والكراهية والعنف والطائفية والتشفّي والشماتة وكره الجمال والفنون والاختلاف والغضب الذي لا يميز المسبب الحقيقي، وتحميل مسؤولية الفقر والفساد وسوء الأحوال المعيشية لمن لا يسير على النهج نفسه، لا للأنظمة وحلفائها، واعتبار أن كل ما يحدث مرجعيته الإيمان أو الكفر فقط. هذا كله الذي تُمعن الأنظمة في تكريسه سوف يكون عائقا دائما أمام أية عملية تغيير، ما لم تنتبه الشعوب الغارقة فيه نفسها إلى خطورته عليها، فتبدأ هي أولا عملية تغيير ذاتية في طريق التغيير الشامل والكلي.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**